الازدواجية بين الفكر والواقع عند راسل
"دراسة تحليلية نقدية"

د/دعاء طه سلامة أحمد البيار

مدرس بقسم الفلسفة – كلية الآداب – جامعة دمنهور

مستخلص:

يدعو البعض في مجتمعاتنا المعاصرة إلى محاربة الفساد بجميع أنواعه، ولكن في الوقت نفسه لا يتوقفون عن ممارسته لخدمة فكرة أو جهة ما؛ وهذا شكل من أشكال التناقض؛ حيث نجد الشيء ونقيضه في الشخص الواحد، هذا التناقض يعني الازدواجية ما بين الأقوال والأفعال، والتُي يُمارس عن وعي تام.

هذا ما نجده عند الفيلسوف برتراند راسل الذي كان له تأثيرُ بالغُ على مجتمعه، فكانت حياته ومؤلفاته مليئة بالتناقضات الشخصية والفكرية والسلوكية.

ونهدف من هذه الدراسة أن نستخلص ما هو مفيد من أقواله، وفي نفس الوقت نتلافى ازدواجيته الذي اتسم بها منذ الصغر، واتضحت في أفكاره وقضايا عصره.

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن ننبه مجتمعاتنا حتى لا تنجرف نحو الفكر الازدواجي، وتقع فريسة له؛ بأن تكون أكثر وعيًا وتماسكًا ومقاومةً.

The ambivalence between thought and reality according to Russell "Critical Analytical Study"

Summary

Some people in our contemporary societies call for fighting corruption of all kinds, but at the same time they do not stop practicing it to serve own ideas or some directions, and this is a form of contradiction where we find the thing and its opposite at the same person.

This ambivalence in contradictory words and deeds that are practiced with full awareness.

This is what we find with the philosopher Bertrand Russell, who had a profound influence on his society. His life and writings were full of personal, intellectual and behavioral contradictions.

The aim of this study is to extract what is useful from Russell's sayings, while at the same time avoiding his duplicity, which was characterized by it since childhood and become clear in his ideas and the issues of his time.

In this regard, we can only warn our societies so that they do not drift towards ambivalence thought and fall prey to it by being more aware, cohesive and resisting it.

الازدواجية بين الفكر والواقع عند راسل
"دراسة تحليلية نقدية"

- مقدمة

أولاً: المبحث الأول: الازدواجية في شخصية راسل.

1- الازدواجية، ماذا تعني؟

2- راسل؛ طفلاً.

3- راسل؛ شابًا.

ثانيًا: المبحث الثاني: الازدواجية في فكر راسل.

1- الازدواجية في الفكر الديني.

2- الازدواجية في العلم.

ثالثًا: المبحث الثالث: الازدواجية في سلوك راسل.

1- موقف راسل من الحرب.

2- موقف راسل من السلام.

3- الحكومة العالمية، والازدواجية السياسية.

النتائج.

1- المصادر والمراجع العربية.

أ- المصادر العربية.

ب- المراجع العربية.

2- المصادر والمراجع الأجنبية.

أ- المصادر الأجنبية.

ب- المراجع الأجنبية.

3- مراجع عبر المواقع الإلكترونية.

الازدواجية بين الفكر والواقع عند راسل
"دراسة تحليلية نقدية"

مقدمــة:

يدعو بعض الناس في مجتمعنا المعاصر إلى محاربة الفساد بأنواعه، ولكنهم في الوقت نفسه لا يتوقفون عن ممارسته لخدمة فكرة أو جهة ما، وهذه هي صورة من صور التناقض، حيث نجد الشيء، ونقيضه في الشخص الواحد السَّوي الذي يمارس عن وعي تام إزدواج الشخصية.

ويقال الأمر ذاته عن بعض المفكرين، ولاسيما الخاصة منهم، إذ نجدهم على شاشات الفضائيات والإذاعات المختلفة ينادون باقتلاع جذور الفساد، ومناهضة الحروب، أي ينددون بالفساد والفاسدين، لكنهم يقومون بأفعال تناقض أقوالهم من منظور فلسفي، إنه تناقض صارخ لا تفسير له؛ سوى أن مجتمعاتنا بشرائحها المختلفة تنخدع فيه، وتتأثر به دون وعي، هذا التناقض يعني الازدواجية Ambivalence ما بين الأقوال والأفكار، وبين الأفعال والسلوك عند نفس الشخص.

هذا ما نجده عند الفيلسوف المعاصر برتراند راسل[*] Russell Bertrand، وهو من أشهر فلاسفة القرن العشرين، الذي أظهر اهتمامًا بالغًا بالإنسان ومستقبله في سبيل

[*] برتراند راسل: فيلسوف معاصر؛ عاش ما بين 1872م: 1970م، إنجليزي الجنسية، وقد أتاحت حياته الطويلة أن يترك للإنسانية ثروة هائلة من الكتب في شتى أنواع المعرفة التي تُهم الإنسان. ومن مؤلفاته: مبادئ الرياضيات 1910م، مشكلات فلسفية 1912م، معرفتنا بالعالم الخارجي 1914م، الحرب وليدة الخوف 1915م، أسس إعادة البناء الاجتماعي 1916م، العدالة خلال الحرب 1916م، التصوف والمنطق 1917م، مستقبل العلم 1924م، ما هو إيماني 1925م، لماذا لست مسيحيًا 1927م، الزواج والأخلاق 1929م، غزو السعادة 1930م، التعليم والنظام الاجتماعي 1932م، الدين والعلوم 1935م، الطريق إلى السلام 1936م، تاريخ الفلسفة الغربية 1945م، المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة الفصول التسعة الأولى من هذا الكتاب في عامي 1945م – 1946م، والباقي 1953م باستثناء= =الفصل الثاني الذي كان محاضرة ألقاها بمناسبة حصوله على جائزة نوبل 1952م، السلطة والفرد 1949م، آمال جديدة لعالم متغير 1952م، حكمة الغرب 1959م، الشيطان على الأرض، سيرتي الذاتية في ثلاث مجلدات 1967م، 1968م، 1969م. وكانت مؤلفاته مبسطة، مُوجَّهة للقراء العاديين بلغة سهلة مفهومة، وقد علَّق على أعماله الكثير من المفكرين في الفترة الممتدة ما بين الحربين العالمية الأولى والثانية، وما بعدهما. في هذه الفقرة اعتمدت على: plato.stanford.edu/entries/Russell/ By.net

حريته وأمانه واستقراره، إذ عايش من الناس العامة قبل الخاصة، وكان ذي تأثير قوي عليهم، حيث تواصل معهم بأحداث الواقع والتطورات العلمية والاجتماعية والسياسية. وكان ينادي بأهداف يجب تحقيقها للإنسان ألا وهي "الصحة، الأمان الاقتصادي، العمل الذي يُرضي هواية الإنسان ويتفق مع ميوله، والعلاقات الشخصية التي ترضي رغبات الإنسان" .. هذا بالإضافة إلى "اتساع نطاق الأمور التي يهتم بها الفرد"[1].

ومن زاوية أخرى، وعلى الرغم من غزارة مؤلفات راسل، إلا أنه لم يستطع بناء نظام فلسفي يحرص على النسقية المطلوبة كما هي موجودة في كل بناء فلسفي، وذلك لأن "حياته كانت مليئة بالتناقضات والصراعات النفسية والفكرية"[2]. وخير من يؤكد على ازدواجيته هو بوشنسكي؛ إذ يقول: "على الرغم من كثرة كتابات راسل في موضوعات عديدة، إلا أنه لم يستطع تفادي عدد من التناقضات التي وقع فيها، وبصفة عامة فإن مواقفه العقلية متغيرة وفي تطور دائب"[3].

ومما لا يدع مجالاً للشك؛ أن هذا الفيلسوف له تأثيرُ كبيرُ بليغُ على مجتمعه، لما يتسم به من ذكاء نادر، وفصاحة واضحة، ومعرفة واسعة بالتاريخ، وجرأة كبيرة في وجه المعارضة، إلا أن تأثيره لا يخلو من السلبية بسبب فكره الازدواجي.

لهذا؛ فإن الهدف من هذه لدراسة هو أن نستخلص ما هو نافع ومفيد من أقواله وأفعاله، وفي نفس الوقت نتلافى ازدواجيته، والتي بدت في الزحف إلى مجتمعاتنا العربية، بحيث نتعامل معه بموضوعية، وعقلية مدركة واعية حتى لا تؤثر بالسلب على أفكارنا ومعتقداتنا الخاصة.

وعليه؛ حاولت الدراسة أن تجيب على إشكالية البحث في ضوء سؤال محوري يتبادر إلى الذهن ألا وهو: هل ستؤدي أفكار راسل وسلوكه ومواقفه إلى ما نادى به من أهداف، أم أن هذه الأفكار والسلوك اتخذت اتجاه مغاير لما نادى به؟ الأمر الذي يجعلنا

---

(1) برتراند راسل: الشيطان على الأرض، إعداد وتقديم: حنا تادرس، مكتبة السائح، طرابلس – لبنان، ط1، 2017م، ص 41.

(2) المصدر السابق، ص 23.

(3) بوشنسكي إ. م: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة د. عزت قرني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة 165، الكويت، 1992م، ص 86.

نتصدى لهذا الفكر الازدواجي بأن نزن الأمور ونراجعها لتوعية مجتمعاتنا العربية، حتى نحميه من هذا الفكر ولاسيما عندما يأتي من مفكرين ذوي تأثير عظيم على عصرهم وما بعد عصرهم.

وينبثق عن هذا السؤال؛ أسئلة عديدة وهي:

- ماذا نعني بالازدواجية؟ وما مدى تأثير نشأة راسل الطفولية على ازدواج شخصيته؟
- كيف تتضح الازدواجية في حياته، أي في مرحلة الشباب وما بعدها؟
- هل أثرت هذه الازدواجية على فكره الأخلاقي: الديني والعلمي؟
- كيف ظهر السلوك الازدواجي في السياسة عند راسل؟

هذا ما يوضِّح لنا الأهداف والنتائج التي يمكن أن نستخلصها للاستفادة منها؛ لكي لا يقع مجتمعنا فريسة للآثار السلبية التي تهدف إليها الشخصية الازدواجية لإقناعنا بفكرة ما.

وللتحقق من هذه التساؤت قسمتُ الدراسة إلى ثلاثة مباحث وخاتمة تتضمن أهم النتائج، حيث تحدثت في المبحث الأول عن معنى الازدواجية وما أسبابها بصفة عامة كما حددها علم النفس، الأمر الذي جعلنا نتطرق إلى حياة راسل منذ أن كان طفلاً إلى أن صار شابًا، وأن نبرز الازدواجية وتأثيرها عليه. وفي سياق المبحث الثاني، فقد أظهرتُ الازدواجية في فكره الديني والعلمي، أما المبحث الثالث؛ تناولت فيه موقف راسل المتناقض من الحرب والسلام، ودعوته إلى وقف الحروب العالمية، وهذه الدعوة التي تخفي ورائها سلوك ما؛ يجب أن ينتبه إليه المجتمعات. وفي الخاتمة أبرزت بعض النتائج التي توصلتُ إليها في أثناء البحث.

وللتحقق من هذه التساؤلات قسمتُ الدراسة إلى ثلاثة مباحث وخاتمة تتضمن أهم النتائج، حيث تحدثت في المبحث الأول عن معنى الازدواجية وما أسبابها بصفة عامة كما حددها علم النفس، الأمر الذي جعلنا نتطرق إلى حياة راسل منذ أن كان طفلاً إلى أن صار شابًا، وأن نبرز الازدواجية وتأثيرها عليه. وفي سياق المبحث الثاني، فقد أظهرتُ الازدواجية في فكره الديني والعلمي، أما المبحث الثالث؛ تناولت فيه موقف راسل المتناقض من الحرب والسلام، ودعوته إلى وقف الحروب العالمية، وهذه الدعوة التي تخفي ورائها

سلوك ما؛ يجب أن ينتبه إليهي المجتمعات. وفي الخاتمة أبرزت بعض النتائج التي توصلتُ إليها في أثناء البحث.

وقد اعتمدتْ هذه الدراسة في كثير من مواضيعا على التحليل منهجًا؛ يفتح السبيل إلى توعية المجتمعات – إذا أردنا السلامة الصحية للأجيال الجديدة– حتى لا تقع في مخاطر الفكر الازدواجي، وهذا يتطلب أن تكون أكثر تماسكًا وتعاونًا للتصدي لهذا الفكر، فضلاً عن المنهج النقدي الذي استلزمته الدراسة، والذي يتضح في نقدنا للكثير من أقوال راسل وتناقضه مع نفسه، منذ أكثر من خمسين عامًا، وما يستتبعه من أحداث في واقعنا الحالي في مختلف نواحي الحياة.

وعليه؛ فإن هذه الدراسة جمعت بعضًا من الأفكار التي من الممكن أن يكون لها تأثيرًا واضحًا في نواحٍ عديدة من الحياة، لهذا طرحتُ أسئلة توضيحية لهذا الفكر الازدواجي، تخص فيلسوف معاصر ذو تأثيرًا كبيرًا على واقعه، وواقعنا الذي نعيشه، وما يدور الآن في أذهاننا.

المبحث الأول
الازدواجية في شخصية راسل

1- الازدواجية(*)، ماذا تعني؟

يتبنى الإنسان فكرة ما ويدافع عنها، وفي نفس الوقت نجده يعتنق نقيضها، وهذه هي الازدواجية التي تصيب بعض من الناس في مختلف الأعمار والأجناس والأعراق، وهي اضطرابات سلوكية تؤثر بشكل مباشر على الإنسان، وهذا لا يعني إصابته بمرض ما، أو إصابته بهلوسات، بل تعني تناقض بين أقواله وسلوكه، أي ما بين التفكير والممارسة، وقد يحدث هذا التناقض نتيجة لاحتمالية تعرّض الإنسان منذ طفولته إلى ضغط نفسي شديد.

وتأكيدًا لما ذكرته، فقد ربط بيير جانيت(**) (1) – أحد رواد علم النفس المعاصر – الازدواجية الشخصية بالصدمة النفسية في مرحلة الطفولة، والتي تجعل الإنسان يحيا حياة ليست وفقًا لما يقول، أي يحيا حياة تتعارض فيها أقواله مع سلوكه.

فقد حدد علم النفس أسبابًا متعددة لهذه الازدواجية تم جمعها في هذه الفكرة؛ وهي معاناة الإنسان منذ طفولته من الكآبة والحزن نتيجة وجود صدمة قوية عاشها خلال طفولته، جعلته لم يستطع التكيف مع ذاته بحيث يمكن أن تؤدي به إلى ازدواجية في الشخصية، ومن ثم ازدواجية في الفكر والسلوك.

وما نلاحظه اليوم أن هذه الحالة لم تعد حالة اضطراب نفسي متميز المظاهر والأبعاد، بل أصبح شيئًا طبيعيًا يمارسه الفرد في حياته اليومية بشكل طبيعي، بمعنى أن الشخص السليم نفسيًا "السَوي"، أحيانًا يمارس عن وعي ازدواج الشخصية(2).

وتماشيًا مع ما تم ذكره، فإن السلوك الازدواجي يتضح في التواطؤ مع ما لهم مصلحة في إكمال مخطط ما، فهو يقوم على سلوك باطني تحركه سلوكيات سرية تخدم

(*) من أمثلة الازدواجية بصفة عامة، مسئول ما؛ يقف على منابر الإعلام المتنوعة يتمجد بإنجازاته القيمة في سبيل المضي نحو النهوض بالمنظومة الفكرية الاجتماعية أو الاقتصادية بالدولة **هو نفسه** من يجلس وراء القضبان بعد كشف فساده كأكبر لص يلهف مدخرات الوطن وقوت المواطن، وهذا نموذج من الفكر الازدواجي.

(**) بيير ماري فيليكس جانيت، فرنسي الجنسية، عاش ما بين 1859م – 1947م، وهو ذو مكانة علمية كبيرة ومن مؤسسي علم النفس، كما أنه فيلسوف ومعالج نفسي في مجال التفارق والصدمة النفسية.

)1(http://ar.m.wikipedia.org/wiki/ بيير- جانيت

)2(https://www.azzaman.com/
تناقضات-الشخصية-الازدواجية-بين-علمي-النفس والاجتماع- مقالات-سلاهب طالب الغرابي

أفكار ومصالح وجهات عليا بعيدة عن المثاليات والقيم يدعو إليها شخص يختارونه ممن يكون له تأثيرًا على أفكار ومعتقدات الناس، حتى يستطيع إقناع الخاصة والعامة، وهنا يظهر هذا الشخص بالتمسك وبالقيم والتعاليم الصحيحة، وهو على خلاف ذلك.

فهل عانى راسل منذ أن كان طفلاً من الاضطرابات السابق ذكرها والتي أدت به إلى ازدواجية في فكره وسلوكه، ولاسيما أنه أكد في أوائل مؤلفاته "مشكلات فلسفية 1912م" بأن أي شيء يمكن أن يكون، وفي نفس الوقت ألا يكون، فليس من المهم أن نفكر وفقًا لقوانين الفكر، ولكن من المهم أن نتصرف وفقًا لما تمليه لنا الأشياء والوقائع"[1].

هذا ما يدعونا إلى أن نتساءل؛ كيف عاش راسل طفلاً وشابًا حتى سلك التناقض منهجًا؟

2- راسل؛ طفلاً:

في مستهل الحديث، ولد راسل من أسرة عريقة أرستقراطية، تمتاز بالعراقة في النسب والحسب، كما تمتاز بالفكر والسياسة، فقد كان جده رئيس وزراء المملكة المتحدة سابقًا، وكان والده اللورد چون راسل؛ رجل دولي ليبرالي، بينما يعود أصل الوالدة إلى عائلة لورد ستاتلي حاكم مقاطعة الدرلي Alderley [2].

ولابد من الإشارة إلى أنه فقد والدته، وأخته التي كان يلعب معها، وهو ما زال طفلاً صغيرًا لم يتجاوز الخامسة من عمره، وبعد فترة وجيزة؛ فقد والده. يقول: "توفيا أبي وأمي، واعتدت أن أتساءل: تُرى أي نوع من الناس كانا والدي"[3]. وهذا ما يؤكد حزنه على فقدانهما. إذ يقول: "في هذه الفترة عشتُ حياة عُزلة ووحدة واكتئاب، حيث نشأتُ على أيدي مربيات ألمانيات ... ثم مربية إنجليزية، ولم أخالط الأطفال إلا قليلاً، وحتى إن خالطهم وجدتهم لا يثيرون من نفسي اهتمامًا بأمرهم"[4]. مما لم يمكّنه من التكيف مع ذاته.

هذا بالإضافة إلى قوله: "إن الكبار الذي عشتُ بينهم كانوا قاصرين بشكل واضح عن فهم حدة انفعالات الأطفال"[5]. فى ذلك الوقت انتقل هو وأخوه إلى رعاية جده من ناحية

---

(1) Bertrand Russell: The problems of philosophy, temple of Earth publishing, 1912, pp. 30 – 31. www.templeofearth.com.

(2) Urmson, J. O.,: "Russell" in : The concise encyclopedia of western philosophy and philosophers, Routledge, London, and New York, 1989, p. 281.

(3) برتراند راسل: سيرتي الذاتية من 1872م : 1914م، ترجمة فايز إسكندر وآخرون، دار المعارف للنشر، القاهرة، 1970م، ص 19.

(4) زكي نجيب محمود: برتراند راسل، دار المعرفة القاهرة، ط2، د. ت، ص 15.

(5) برتراند راسل: سيرتي الذاتية، مصدر سابق، ص 24.

والده، إلا أن جده قد أمر بنقل أخيه إلى مدرسة داخلية، مما جعل راسل وحيدًا في بيت جده الذي كان شيخًا جاوز الثمانين، قضى معه ثلاث سنوات ثم توفى الجد.

يقول راسل في سيرته الذاتية: "يوم وفاة جدي رأيت شقيقي في الطريق وهو يستقل عربة ... وهتفت باسمه، إلا أن مربيتي جذبتني ونهتني عن التقرب من أخي"[1]. مما زاد الضغط النفسي عليه.

ومن زاوية أخرى، انتقل راسل بعد وفاة جده لرعاية وتأثير جدته، يقول عن ذكرياته وقت ذاك: "كنت أشعر بالحزن، وقد عبَّرت ذات مرة عن شعوري هذا لجدتي بقولي لها: "كنت أتمنى لو أن والدّاي كانا على قيد الحياة ... فقالت لي بأنه من حسن حظي أنهما ماتا"، ولقد تركت ملاحظتها هذا أثرًا سيئًا في نفسي في ذلك الوقت ... وكان ينتابني طوال طفولتي شعور متزايد بالوحدة واليأس من مقابلة إنسانن يطيب لي الحديث معه"[2].

هذا ما جعله يؤكد على أن التعاسة عند الإنسان تعتمد على غياب التكامل بين الذات والمجتمع، وذلك لأن السعادة تقتضي الوعي والاتصال مع العالم الخارجي، وهذه حقيقة واقعية –كما ترى الباحثة– ، حيث أن النفس البشرية تجد متعتها في الاتصال بالمجتمع.

وفي موضع آخر من نفس المُؤلَف نجده يقول: "شعرت أثناء طفولتي بإحساس ودي نحو معظم الكبار الذين تم احتكاكي بهم، وكانت طفولتي بوجه عام سعيدة ومستقيمة ولا التواء فيها"[3]. وهذا تأكيدًا واضحاً لتناقض أقواله من داخل نفس المُؤلَف.

وفي مؤلفه انتصار السعادة في ثلاثينيات القرن الماضي أكد بقوله: "أنا لم أولد سعيدًا ... وفي سن الخامسة ... شعرت أن الملل ينتظرني عندما أكبر إلى سن السبعين ... وعند البلوغ كرهتُ حياتي، وكنت دائمًا على حافة الانتحار"[4].

هذا ما يؤكد التضارب والتناقض في أقوال راسل منذ الصغر، فهل استمرت هذه الشخصية في مواقفه وأفعاله عندما أصبح شابًا؟

3– راسل، شابًا:

---

(1) برتراند راسل: سيرتي الذاتية، مصدر سابق، ص 19.
(2) المصدر السابق، ص 37.
(3) المصدر السابق، ص 48.
(4) برتراند راسل: انتصار السعادة، ترجمة محمد قدري عمارة، المركز القومي للترجمة، ط2، القاهرة، 2009م، ص 15.

تخرج راسل فى الجامعة عام 1894م، وتزوج أربع مرات في حياته، كما تخلل فى معظم زيجاته علاقات غير شرعية.

وتماشيًا مع ما تم ذكره، نجده يقول بصدد الزوجة الأولى: "كان الزواج من "اليس" سعيدًا، وهيأ لي الاستقرار العقلي"، هذا بالإضافة إلى قوله بأن "فترة زواجه منها تُمثِّل فترة العمل المثمر في حياته". وعلى الرغم من ذلك؛ انفصل عنها نتيجة لعلاقاته العاطفية المتعددة التي لاقت معارضة شديدة منها. ثم تزوج من شابة تُدعى "دورا بلاك"، وأنجب منها طفلين، وكان زواجهما يتصف بالتوتر الدائم وعدم تحمل مسؤولية أطفالهما، حيث انفصل عنها بسبب العلاقات الغرامية المتعددة لكلٍ من الزوجين. ثم تزوج مرة ثالثة، وأنجب طفلاً، ولم تستمر الزيجة فترة طويلة، وتزوج مرة رابعة عام 1952م، ولم ينجب أطفالاً[1].

هذا ما جعل أسقف الكنيسة البروتستانتية يعارض تعيين راسل ضمن أساتذة نيويورك بقوله: "إن مستر راسل ... يدافع عن الزنا ويبرره"[2].

ولا يفوتنا أن ننوه أن جريدة "هيرست"[*] أكدت أن راسل "كان يفضل مشاعية النساء ... وإنجاب الأطفال خارج فراش الزوجية ... وأن يربي الأطفال كبيادق لدى دولة لا تؤمن بإله"[3].

وبناء على ما سبق، بتكرار زواجه، وإنجابه أطفالاً لم يتحمل مسؤوليتهم، وما عُرف عنه من وطلاق ومساكنة دون زواج، وهذه سلوكيات وأفعال فاضحة؛ تُظهر ازدواجيته التي تتضح في تناقض أفعاله مع أقواله في مؤلفاته.

إذ نجده في مؤلفه أسس إعادة البناء الاجتماعي عام 1916م، –هذا المؤلف خلال فترة زواجه الأول– نادى بضرورة الحفاظ على الكيان الأسري، حيث صُدم الناس بآرائه عن

---

[1] لمزيد من المعلومات انظر المراجع الآتية:

- plato.stanford.edu/entries/russell/
- برتراند راسل: سيرتي الذاتية، مصدر سابق، ص 122، 195.
- زكي نجيب محمود: من برتي إلى برتراند راسل، سلسلة الفكر المعاصر، عدد "34"، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1967م، ص 9.
- آلان وود: برتراند راسل "سيرة حياته"، ترجمة د/ رمسيس عوض، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998م، ص ص 35 – 36.

[2] برتراند راسل: الشيطان على الأرض، مصدر سابق، ص 38.

[*] لماذا لست مسيحيًا لبرتراند راسل، ترجمة عبد الكريم ناصيف، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق – بيروت، ط1، 2015م، الفصل 13 ص 203 ملحق بعنوان: كيف مُنع راسل من التدريس في كلية مدينة نيويورك، عن: أوردودي تيد "رئيس هيئة التعليم العالي" .

[3] برتراند راسل: لماذا لست مسيحيًا المصدر السابق، ص 256.

الحب والزواج، ففي هذا المُؤلَف يقول: "لا يمكن حل زواج ... لسبب هجر أو زنا الطرفين، كما لا يمكن حله لأية علة كانت حتى ولو وافق كلٍ من الرجل والمرأة على ذلك .. فالزوج والزوجة مرتبطان مدى الحياة"[1]؛ بعلاقة محبة عميقة، وذلك للتهيئة الثقافية الجيدة لأولادهم.

وفي هذا يقول في موضع آخر من نفس المؤلَّف: "طالما يعيش الأولاد مع أهلهم، فسوف يلعب المثل الأعلى والتربية منذ الصغر دورًا كبيرًا في تطوير خلقهم... فلا شك بأن الذكاء سواء من خلال الوراثة أو من خلال التربية يظهر في العائلة"[2].

هذا بالإضافة إلى مناداته في مؤلفه الزواج والأخلاق عام 1929م، بأهمية الاستقرار في الزواج، وذلك لمصلحة الأولاد ... فعاطفة الوالدين هامة لأولادهم[3]. مما جعله في نفس المؤلف يرفض العلاقات غير الشرعية خارج نطاق الزواج، ويصفها بأنها علاقات شريرة[4]، على الرغم من أنه كان يمارس هذه العلاقات غير الشرعية خارج نطاق الزواج في نفس الفترة.

وعليه، فقد أكد على ضرورة ألا نطيع دوافعنا وغرائزنا، وألا نتصرف كما نشاء، مما يقتضي التوجه نحو المتع طويلة المدى "الزواج"، ومن ثم لابد من اللجوء إلى ضبط النفس في توجيه الغرائز.

يقول راسل: "إن امتزاج الحب والأولاد والحياة المشتركة هو ما يكون أفضل ما يقوي العلاقة بين الرجل والمرأة"[5].

هذا ما تؤيده الدراسة من أقوال راسل السديدة، والتي اتضحت في مؤلفاته، لكننا نتساءل؛ هل التزام راسل في حياته الخاصة بهذه الأقوال التي دعا إليها؟!

وبخلاف ذلك نجده في مؤلفاته يبيح العلاقات غير الشرعية للرجل أو المرأة بشرط عدم إنجاب أولاد وتأكيدًا لذلك، فقد أباح الحرية الجنسية في إحدى مدارس مقاطعة هامبشاير، حيث كان يلقى دروسه[6]. لأنه يعتقد أن كبت الدوافع الجنسية تجعل الناس أقل تسامحًا وعطفًا، وأكثر ميلاً إلى القسوة والأنانية.

---

(1) برتراند راسل: أسس لإعادة البناء الاجتماعي، ترجمة د. إبراهيم يوسف النجار، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1987م، ص ص 138 – 139.

(2) المصدر السابق، ص 146.

(3) Russell, Bertrand,: Marriage and Morals, Live right publishing corporation, New York, 1929, pp. 238 – 239, p. 308.

(4) Ibid, p. 27.

(5) برتراند راسل: الشيطان على الأرض، مصدر سابق، ص 39.

(6) المصدر السابق، ص 40.

إلا أن ثمة نقد يمكن أن يوجه إلى راسل بدعوته للرذيلة، وسؤالاً يطرح نفسه وهو: كيف ينشأ جيل جديد سَوِىّ في ظل هذه الإباحية؟ أليس هذا هو لُب الازدواجية!

هكذا يتضح أن نشأة راسل وحياته الأولى أثرت سلبًا على شخصيته، وأدت إلى تناقض أفعاله وأهوائه مع أقواله في مؤلفاته، فهل امتدت هذه الازدواجية وأدت إلى خلق ازدواجية فكرية؛ دينية وعلمية؟

المبحث الثاني

الازدواجية في فكر راسل

حيث أن الثابت؛ اهتمام راسل بالأفكار الدينية والعلمية وما حولهما، لكن يُطرح سؤالاً هامًا ألا وهو: هل مواقفه تجاههما كانت تتسم بالوضوح؟

نُلاحظ من خلال القراءة في مؤلفاته تحليه بالحياد والموضوعية، فكان هذا مؤشرًا على وجود تناقض، وظهور الفكر الازدواجي، هذا ما سوف يتضح.

1- الازدواجية في الفكر الديني:

اهتم راسل منذ الصغر بالدين الذي انتهى به إلى إيمانه بمذهب التوحيد الذي ينكر ربوبية المسيح –مثله في ذلك مثل جده لأبيه الذي كان له أثرًا بالغًا عليه في إيمانه بهذا المذهب– والذي اعتنقه حتى سن الخامسة عشر من عمره[1]. أي حتى عام 1897م.

[1] برتراند راسل: سيرتي الذاتية من 1872 : 1914م، مصدر سابق، ص ص 51 – 52.

وعلى المستوى النظري نجده، استمر طيلة حياته في الكتابة عن الدين ووجود الله في العديد من مؤلفاته منها التصوف والمنطق 1917م، لماذا لست مسيحيًا 1927م، الدين والعلوم 1935م وغيرهم، وكان في مؤلفاته يتأرجح بين الرفض والقبول والتعليق.

يقول في مؤلفه سيرتي الذاتية: "من العسير على أي إنسان أن يسير على الطريق السوي دون عون الدين ... أما أنا فقد اكتفيت بما يمليه عليَّ ضميري فحسب ... فلا ملجأ لي سوى الضمير، وليس لي دين يعينني"[1].

فقد بدأ في تمحيص البراهين العقلية عام 1897م، وقرأ في البراهين التي تقام على حرية إرادة الإنسان، وعلى خلوده، وعلى وجود الله، وانتهى إلى عدم الإيمان بحرية الإرادة، ثم انتهى إلى نبذ فكرة الخلود وإنكارها، زعمًا منه بأن هذا يتعارض مع وحدانية الله وقدرته[2].

وثمة نقد يمكن أن يوجه إلى راسل بصدد موقفه هذا، إذ يمثِّل هذا الموقف حالة من التعارض والتناقض – تعارض فكرتي الخلود مع وجود الله كما زعم– فالتسليم بوجود الله وقدرته الشاملة يُلزم في الحال التسليم والإيمان بخلود النفس بعد الموت، فالله هو الذي أوجد الناس، وهو الذي يتكفلهم بعنايته، ومن هذه العناية أنه عادل، يعطي كل ذي حق حقه، لذا لابد من أن يوجد حياة أخرى يثاب فيها كل إنسان على أفعاله في الحياة الدنيا، تُخلِّد فيها الروح، إما النعيم أم العذاب.

واستنادًا إلى ما سبق، في إنكاره لفكرة الخلود وفي نفس الوقت؛ إيمانه بوحدانية الله، ظل على عقيدته حتى بلغ الثامنة عشر من عمره، أي حتى عام 1900م حينما قرأ سؤال؛ من خلق؟ في هذه اللحظة –كما روي– رفض حجج وجود الله[*].

---

[1] المصدر السابق، ص 71.

[2] برتراند راسل: لماذا لست مسيحيًا، مصدر سابق ص 18.
وكذلك زكي نجيب محمود: برتراند راسل، مرجع سابق، ص ص 15 – 16.

(*) حجة العلة الأولى، مشكلة الشر، الحجة الأنطولوجية، الحجة الغائية، حجة الانسجام المحدد مسبقًا، حجة القانون الطبيعي، الحجة المستمدة من التجربة الدينية، الحجج الأخلاقية وعلاج الظلم.
فعلى سبيل المثال لا الحصر، كان راسل منزعجًا طيلة حياته كلما خطر له أن مسألة العلية Causality في الطبيعة لا يمكن استبعادها عن وجود الله، وإلا وقعنا في التناقض، فمذهب الألوهية Theism لا يستبعد مسألة العلية، لكنه يقترح التفرقة بين مبدأ العلية، وما إذا كان الله تعالى علة، وأنه يحتاج إليها، وعلى ذلك فإن هذا المبدأ يقرر أن كل ما هو محدود يحتاج إلى مصدر عليَّ متميز موجود، وعليه فإن العقل الإنساني لا يفهم الأشياء التي لا تبدو لها علّة، هذا بالإضافة إلى أن مفهوم العلّة ليس قابل للتطبيق على الكلي، وذلك لأن الكلي لا يحتاج لأن يكون علّة ذاته. هذا يعني أن لكل شيء سبب، لذا لابد من وجود سبب أول. وقد رد راسل عى هذه الحجة بقوله: إذا كان يجب أن يكون

هكذا حذر راسل من الإيمان بالله، ورأى أنه مضر ما لم يوجد دليل عقلي ومنطقي يثبته، مما جعله لا يقبل أي رَأي إلا بالحجة والبرهان، هذا بالإضافة إلى رفضه لخلود الروح منذ عام 1897م. فعندما سُئل عن الموت. قال: "أعتقد أنني عندما أموت لن يبقى شيء مني، أنا ذاتي"[1]. ويستطرد قائلاً: "أن ذاكراتنا وعادتنا مرتبطة ببنية الدماغ ... وأن الدماغ كبنية يتحلل بعد الموت"[2].

وفي موضع آخر نجده أعلن رفضه لكافة الأديان، يقول: "إنني أظن أن كل الأديان الكبرى في العالم المسيحية والإسلام هي غير صحيحة ومؤذية على حد سواء"[3].

هذا بالإضافة إلى تأكيده على أن "الدين ليس إلا خوف من المجهول، فهو يعزز الخوف، لأنه عامل ضرر للبشر، لأنه يعوق المعرفة، كما أنه مسؤول عن العديد من الحروب، وعن الشقاء في العالم"[4].

وبخلاف ما سبق نجده في مؤلف الشيطان على الأرض أكد بقوله: "لا يوجد دين إلا وفيه فئة متعصبة جاهلة تفهمه بشكل خاطيء، ومضاد لطبيعته الجوهرية ومبادئه،

لكل شيء= =سبب فلابد أن يكون لله سبب، وكيف يمكن أن يكون السبب الأول بلا مسبب. وحيث أن السببية تربط كل مرحلة عرضية من العالم بالمرحلة التي تليها، فلا داعي لأن يتبع ذلك وجود خالق خارجي للعالم ككل.

* أما حجة مشكلة الشر، التي لا يمكن أن تلغي مسؤولية الله عن وجود الشر، إذ قيل لنا أن العالم خلقه "إله صالح" بمطلق القدرة، وقبل أن يخلق العالم، توقع كل الألم والبؤس الذي سيحتوي عليه، لذلك فهو مسؤول عن كل ذلك، وإذا كان الله يعرف مسبقًا الخطايا التي يكون الإنسان مذنبًا فيها، فمن الواضح أنه كان مسؤولاً عن جميع عواقب تلك الخطايا عندما قرر أن يخلق الإنسان وكيف يعني أن كيانًا قادرًا على كل شيء يسمح ويشاء بوجود الشر الطبيعي في هذا العالم، كالمرض والكوارث مثل الزلازل والبراكين وغيره.

* ومن الحجج الأخلاقية لوجود الله والتي رفضها راسل: عدم قبوله بأن الصواب والخطأ يتكونان من أوامر الله، حيث يرى أنه من الصواب أن نطيع الأوامر الإلهية، لأن الله يأمر دائمًا بما هو (صواب)، وليس العكس بأن يكون الصواب لو أمر به الله، فنحن لا نستطيع أن نعرّف الصواب بأنه طاعة الأوامر الإلهية حتى وإن كنا نؤمن بأن طاعة الله صواب دائمًا، وأن طاعة الإرادة البشرية لا تحتمل أن تكون دائمًا صواب، فالحق والباطل له معنى مستقل عن أمر الله.

اعتمدت في هذه الفقرة على المرجعين الآتيين:

plato.stanford.edu/entries/Russell/

وكذلك: چيمس كولتير: الله في الفلسفة الحديثة، ترجمة فؤاد كامل، مكتبة غريب، القاهرة، 1973م، ص ص 389 – 390.

[1] برتراند راسل: لماذا لست مسيحيًا، مصدر سابق، ص 69.

[2] المصدر السابق، ص 80.

[3] برتراند راسل: لماذا لست مسيحيًا، مصدر سابق، ص 11.

[4] plato.stanford.edu/entries/Russell/

وبالتالي فالمتعصبون بشكل أعمى يشوهون جوهر الأديان وتفكيره"[1]. وهذا اعتراف ضمني منه بأن الأديان مبادىء حقيقية غير مشوهة، أي يعترف بسلامة الأديان.

فضلاً عن قوله في نفس المؤلف بأن "العالم في حاجة إلى دين يعمل على تنمية الحياة... ولابد من أن نجعل الحياة إنسانية تهدف إلى تحقيق غاية غير شخصية، وفوق مستوى البشر مثل الله"[2]. هذا بالإضافة غلى تأكيده بأن الدين الإسلامي جاء ليصبح دين العالم والإنسانية، فالتعاليم والأخلاق التي جاء بها "محمد"[*] تمنح معنى للوجود، وما زلنا نبحث ونتعلق بها، وننال من أجلها أعلى الجوائز.

وجدير بالذكر أنه حدثت مناظرة[*] بين راسل والأب كوبلستون عام 1948، أكد فيها راسل أن موقفه من وجود الله "لا أدريًا"[**]، وقد أفاد أن قبوله لهذا المبدأ إذ ربما يكون للكون إله[3].

خلاصة القول، نجد أن راسل أظهر اهتمامًا بالفكر الديني من خلال مؤلفاته، ولو دققنا النظر في أفكاره الدينية على مستوى ما مر بنا من أقواله، نجده يؤمن بمذهب التوحيد وهو في الخامسة عشر من عمره، ثم يرفض حجج وجود الله وهو في الثامنة عشر من عمره، وبناء عليه رفض الأديان السماوية، ثم بدأ بعد ذلك يعترف بسلامة الأديان ويحث

---

(1) برتراند راسل: الشيطان على الأرض، مصدر سابق، ص 12.

(2) المصدر السابق، ص 170، وكذلك برتراند راسل: أسس لإعادة البناء الاجتماعي، ص196.

(*) بهذا ينضم راسل للكثير من المفكرين الغربيين الذين أنصفوا الإسلام ودافعوا عنه برغم عدم انتمائهم له مثل عالم الأديان **هانزوكونج** وهو أحد علماء اللاهوت الكاثوليكي، والمفكر السويسري **يوهان دي كنرت**، والمستشرق الإنجليزي **الكولونيل بودلي**، وغيرهم.

(*) نُشرت هذه المناظرة بإذن من الأب كوبلستون عام 1948م في الإنسانيات.

(**) اللاأدرى هو توجه فلسفي، وليس عقيدة، فاللاأدرى يؤمن بأن القيم الحقيقية للقضايا الدينية أو الغيبية غير محددة، ولا يمكن تحديدها خاصة تلك القضايا المتعلقة بالقضايا الدينية ووجود الله أو عدمه، والتي تُعد غامضة لا يمكن معرفتها، واللاأدرى هو هذا الشخص الذي لا يؤمن بالذات الإلهية وفي نفس الوقت لا يكفر بها، هذا الشخص غير واضح، بخلاف المؤمن أو الملحد، فإن كلٍ منهما واضحًا. هذا بخلاف اللاأدرى الذي يرى عدم وجود دليل لدعم الرأي القائل بأن الله موجود، لكن ربما في يوم من الأيام توجد أدلة مقنعة، فهو يعتقد بأن الاعتراف بوجود الإله من عدمه هي مسألة خارج حدود المعرفة الإنسانية، وهذا لا يعني أن تكون= =مجهولة، بل تدعو إلى **تعليق الحكم** فيها لحين وجود أدلة. اعتمدت في هذه الفقرة على اللاأدرية/https://ar.wikipedia.org/wiki

(1) برتراند راسل: لماذا لست مسيحيًا، مصدر سابق، ص 203.

العالم على ضرورة وجودها ذلك لتنمية الحياة وتحقيق غاية غير شخصية وفوق مستوى البشر مثل الله، لكنه بمقابلته للأب كوبلستون أفاد أنه لا أدريً، وعلى الرغم من أن المتتبع لأفكاره من الممكن أن يقول أن هذا تسلسل طبيعي مع تطور حياته وفكره، إلا أنه في جميع مراحل عمره، وفي جميع مؤلفاته لم يسلك مسلك ديني أو يؤمن بوجود "إله"، إذ يظهر مناقضًا لنفسه في كثير من أقواله التي تتغير من مؤلف إلى آخر، مما يؤكد على ازدواجيته في فكره الديني.

فكيف إذن ظهرت الازدواجية عنده وهو يتحدث عن العلم؟

2- الازدواجية في العلم:

على الرغم من أن راسل لم يكن رجل علم، إلا أنه تحدث عن العلم كفيلسوف معاصر يهتم بالمشكلات التي تخص الإنسان ومستقبله ومنها قضية العلم، لكن يبقى تساؤل ألا وهو: ما علاقة الفلسفة بالعلم من وجهة نظر راسل؟ وهل كان موقفه تجاه العلم وا ضحًا، أم كان موقفه مؤشرًا لظهور الفكر الازدواجي؟

في مستهل الحديث، أكد راسل على أهمية الفلسفة في مجال الواقع وحل مشكلاته، فقد دعا إلى ضرورة إعطاء الفلسفة صبغة علمية، وأن تستقي معاييرها وأحكامها الأساسية من علوم الطبيعة وليس من الميتافيزيقا، إذ "ينبغي أن تستمد إلهاماتها من العلم ... فهي تؤكد النتائج العامة للعلم، وتسعى إلى إعطاء عمومية ووحدة أكبر لتلك النتائج، أو قد تدرس طرق العلم وتسعى لتطبيق تلك الطرق"[1]. وفى ذلك يقول إن "العلم هو أحد مصادر التفكير الفلسفى، وحين نبحث ... معنى العلمية نخوض مشكلة فلسفية ...وحين نأخذ على عاتقنا ممارسة العلم، نكوِّن نظرة فلسفية إلى العالم"[2]. وهنا "تركز الفلسفة فى طرح مشكلات وتترك للعلم حلها، لأن مهمتها مهمة نقدية"[3].

---

(1) برتراند راسل: عبادة الإنسان الحر، ترجمة محمد قدري عمارة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2005م، ص 104.

(2) برتراند راسل: حكمة الغرب،"الفلسفة الحديثة والمعاصرة"، ترجمة فؤاد زكريا،ج2، سلسلة عالم المعرفة، عدد 72، 1978م، ص ص 232-233.

(3) Russell, B.: Logic and Knowledge, Essay1901-1950, George Allen and Unwin, London1950, P. 281.

وعليه؛ يدعو راسل إلى أهمية الأسلوب العلمي الذي يقوم على الشك لا اليقين حتى لو كان يحمل تناقضًا. وهنا تتضح قدرتة على استحضار المشكلات، وكيفية تصور الحلول لمواجهة التحديات، واقتراح خطط عملية لتطويق مختلف الصعوبات على المستوى العملي والنظري والتي تواجه المستقبل. لذلك يُطرح تساؤل هام ونحن في عصر العلم الذي جلب للإنسان التقدم والرقي، وفي نفس الوقت قضى على شعور الإنسان بالأمان والطمأنينة، فهل نبهنا راسل إلى ما تؤدي به نتائج العلم من آثار سلبية بجانب آثاره الإيجابية، أي نبهنا إلى ازدواجية آثارنتائج العلم على البشرية، وكان موقفه واضحًا في هذا الصدد، أم الحقيقة غير ذلك؟

يقول راسل: "من أسباب تعاسة الإنسان في الماضي والحاضر ... الأوبئة والمجاعات، وهي تنتج عن عدم كفاية الإنسان من السيطرة على الطبيعة"[1]. وهنا يوضح أهمية العلم الذي يمكِّن الإنسان من السيطرة على الطبيعة بما يحقق السعادة والرفاهية له، هذا ما جعله يؤكد على "ضرورة زيادة الحكمة عند الإنسان بقدر زيادة علمه، وذلك لأن زيادة العلم تعني زيادة الأحزان"[2].

فلابد من التأكيد على أن "عدم السيطرة في نطاق العلم يثير مشكلات اجتماعية جديدة ذات طابع أخلاقي ... ولو نظرنا إلى ما اكتشفه العلماء واخترعوه، نجد أنها محايدة من الوجهة الأخلاقية ... هذه الاكتشافات والاختراعات يمكن تحويلها في اتجاه الخير أو الشر"[3]. هنا يلزم الإنسان للإنصات إلى صوت العقل في استخدام ما آل إليه العلم، أي يهتم بالآثار الإيجابية للعلم دون الآثار السلبية.

وعلى المستوى العملي، أكد راسل أن "تطور العلم في هذه الأيام تدعمه الدولة، وذلك لأنه يمكِّن أصحاب السلطة من تحقيق أغراضهم ... فإذا كانت أغراضهم جيدة فهذا مكسب، وإذا كانت هذه الأغراض شريرة، فهذا خسارة في عصرنا الحالي"[4].

ولعله من المفيد أن نؤكد "تحذيره للإنسانية من إفساد التربة الزراعية ... لتصبح غير صالحة أو أن تنشر الأمراض في المحصول ... ومن المستحيل أن يتكهن المرء بحدود

---

(1) برتراند راسل: الشيطان على الأرض، مصدر سابق، ص 22.

(2) Russell, Bertrand, : The future of science, Dution, E.P., & Company, Seventh printing, U.S.A., 1925, pp.54 – 55.

(3) برتراند راسل: حكمة الغرب "الفلسفة الحديثة والمعاصرة"، مصدر سابق، ص 195.

(4) Russell, Bertrand, : The future of science, op. cit., p. 57.

الضرر الذي يلحق بالناس"[1]. وذلك يتضح من خلال مقارنتها بمستوى التربة الزراعية سابقًا، والذي كان يتم بوتيرة منظمة، حيث كانت تستخدم الأسمدة الطبيعية بشكل معقول[2].

ويستطرد قائلاً: «أما اليوم فقد استُنزفت ثروات التربة بشكل متسارع، لهذا تسعى الحكومات حاليًا لضمان حصتها الغذائية من خلال مضاعفة وتيرة الإنتاج واستغلال كافة الإمكانات التكنولوجية، وبطرق تقنية مأساوية.. لكي تحصل على أكبر قدر من العوائد الاقتصادية، أي ضمان أرباح مرتفعة وفورية»[3]. دون النظر إلى الضرر الذي يلحق بالإنسانية، وهنا يحذر راسل من الأخطار الناجمة عن غياب الأخلاق في استخدام الوسائل التقنية.

هذا بالإضافة إلى تأكيده على أن علم الحياة Biology يؤثر على حياة الإنسان من خلال التعديل الوراثي، إذ قام الإنسان بتغيير سلالات الماشية والنباتات الغذائية بإستخدام علم الجينات، هذا ما يمكِّنه من استحداث تغييرات "طفرات Mutation" في الجينات بطرق فنية، وأكد بأن هذه الطفرات التي استحدثت حتى الآن كانت غير مرغوب فيها، لكنه يؤكد استحسانها في المستقبل للنباتات والحيوانات، بل وتكون ذات فائدة للجنس البشري[4].

وعلى خلاف ذلك نجده في موضع آخر من نفس المؤلف يحذرنا بأن «علم الجينات الوراثية يؤدي إلى إنهاك الأرض ... بالإضافة إلى ما يخلفه من عواقب صحية»[5].

هنا تتجلى ازدواجية راسل في أوضح صورها بين القبول والتحذير، وبخلاف فكره الازدواجي، ترى الباحثة أن التعديل الوراثي يؤدي إلى هلاك الحرث والنسل، ولا يؤدي إلى تقدم علمي أو فائدة للبشرية، حيث أخرج النباتات والحيوانات عن فطرتها الطبيعية، وهذا هو واقع حياتنا المعاصرة، مما أدى إلى انتشار الكثير من الأمراض.

---

(1) برتراند راسل: المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، ترجمة عبد الكريم أحمد، مكتبة الأنجلو المصرية للطبع والنشر، القاهرة، د. ت، ص 186.
(2) برتراند راسل: العلم وأثره في المجتمع، ترجمة صباح صديق الدملوجي، المنظمة العربية للترجمة والنشر، ط1، بيروت، 2008م، ص ص 137 – 138.
(3) المصدر السابق، ص ص 138 – 139.
(4) المصدر السابق، ص 53.
(5) برتراند راسل: العلم وأثره في المجتمع، مصدر سابق، ص ص 120 – 121.

ولا يفوتنا أن ننوه تأكيده على أن اندلاع الحرب البكتريولوچية "الجرثومية" التي هي في طور التجريب والتى تعمل على إفناء الجنس البشري، مع اتخاذ إجراءات لمنع الأشخاص من العدوى؛ كإتخاذ لقاح، وهنا أكد على إحلال الكارثة، لأنه سيناريو لا يقل رعبًا عن مخاطر القنبلة الهيدروچينية. هذا ما أكده في خمسينات القرن الماضي بصدد مخاطر المستقبل وتحذير الإنسانية منها، إذ يقول: «أن الحرب البكتريولوچية "الجرثومية" ... لها من الأثر السلبي الكافي على الإنسانية»[1].

هكذا تطورت أدوات وآليات الحروب في العالم، ولولا ما تحقق من أقوال راسل الكثير في واقعنا المعاصر – من فساد التربة الزراعية، والتعديل الوراثي للنبات و الحيوان الذي أفسد الحرث والنسل مما أدى إلى انتشار الأمراض، هذا بالإضافة إلى اندلاع الحروب الجرثومية، كما نجدها في كوفيد 19، وميكرون – لما اضطررنا للتعرض إلى الفقرتين التاليتين، والتي لم تتحقق حتى حينه ونأمل ألا تتحقق.

بالإضافة إلى ما سبق؛ ركّز على أنه سوف يصبح فى الإمكان آجلاً أم عاجلاً إذابة الثلج القطبى الشمالى، وبذلك يتغير المناخ، ولا سيما فى المناطق الشمالية، وهذه الإمكانات مازالت فى حيز التفكير[2].هذا ما أكده راسل منذ أكثر من ستين عام. ولا يسعنا فى هذا المقام ألا نذكر تنديد معظم دول العالم على وجوب التعاون فيما بينها بشتى طرق التعاون سواء منها المبارة أم غير المباشرة متضامنين لتجنب تغير المناخ.

هذا فضلاً على أنه حذر من زيادة عدد سكان الأرض، مما تُعرِّض كميات الغذاء المتوفرة في العالم إلى التناقض.

يقول في ذلك: "يمكن تلافي خطر نقص الغذاء العالمي لفترة ما؛ بتحسين التقنيات الزراعية، لكن استمرار زيادة السكان بنفس النسبة سوف يعجز الإنسان لسد نقص الغذاء، وهذا ما جعله يتنبأ بحدوث مجاعة ما لم يلجأ البشر إلى تحديد النسل"[3].

ولا يفوتنا في هذا المقام تأكيده في مؤلفه مستقبل العلم عام 1924م على أن «العلم يتسبب في تدمير حضارتنا، ويبدو أن الأمل الوحيد يكمن في إمكانية الهيمنة على مستوى

---

[1] برتراند راسل: المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، مصدر سابق، ص 185.
[2] برتراند راسل: المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، مصدر سابق، ص 184.
[3] Russell, Bertrand,: The future of science, op. cit., pp. 44 – 45.

العالم من قِبل مجموعة واحدة، كما تنادي الولايات المتحدة بذلك، مما يؤدي إلى تشكيل تدريجي لحكومة عالمية اقتصادية وسياسية منظمة Political and economic world government[1]. هذه الحكومة ذات نزعة علمية –كما أكد راسل، والتي سوف نتكلم عنها لاحقًا– تجعل المرء يتكهن بأنه –ما عدا الأرستقراطية الحاكمة– سيتم جعل كافة الذكور سوى 50% عقيمين، وجعل كافة الإناث عدا 30% عقيمات»[2]. وفى هذا النص تظهر الازدواجية عند راسل، حيث يتم الكيل بمكيال مختلف بين الأفراد بناء على الفوارق الإجتماعية، إذ يعمل على خلق فوارق بين الطبقة الأرستقراطية وعامة الشعب. ونجده يستطرد قائلا: «وسيتم اختيار الذكور الذين يُعتَمدنٌ للأبوة بناء على عدد من الأسباب، فالبعض سيُختارون لقوة عضلاتهم، أما الآخرون لتميّز أدمغتهم ... ومن لم يتم كأباء من الطبقة الحاكمة يجب أن يكونوا من النوع سهل الانقياد» [3] وهذا يتشابه مع النظام السياسى و التربوى الذى وضعه أفلاطون فى محابة الجمهورية. كم أفاد راسل أنه «سيؤخذ الأطفال من أحضان أمهاتهم ... ليتم تربيتهم من قبل مربيات متخصصات» [4].

خلاصة القول؛ يُعد راسل في نظر الكثير من الخاصة والعامة في عصره؛ ضمير الإنسانية، لأنه يحذر من الآثار السلبية للعلم، هذا ما جعله من المساهمين في تحديد ضوابط البحث العلمي، إلا أن الدراسة ترى أن الحقيقة غير ذلك؛ بحكم تأثير سلوكه وفكره الازدواجي.

حيث أنه أشاع وركَّز على الجوانب السلبية للعلم وما لها من أضرار كبيرة في جوانب مختلفة من الحياة، ولم يركِّز على الجوانب الإيجابية للعلم، فهو يأخذنا إلى اتجاه الجوانب المظلمة والتي تحقق منها الكثير، دون اتجاه الجوانب المضيئة. وهذا ما يُظهر أثار الازدواجية التى إتخذها راسل منهجاً وذلك تنفيذا لما تم التخطيط له من جانب جهات سياسية وهذا ما سوف نتعرض له لاحقا.

---

[1] Ibid., pp. 63 – 64.

[2] برتراند راسل: أثر العلم في المجتمع، مصدر سابق، ص ص 79 – 80.

[3] المصدر السابق، نفس الموضع.

[4] نفس الموضع.

المبحث الثالث

الازدواجية في سلوك راسل

أكد راسل على أن الفلسفة لا تهتم فقط بالمنطق والميتافيزيقا، بل تهتم أيضًا بأحوال العالم وجميع المشكلات المعاصرة سواء ما يتصل بالفرد أم بالمجتمع أم بالدولة فكيف يحمل هذا الاهتمام سلوكًا ازدواجيًا؟

1- موقف راسل من الحرب:

يعتبر راسل الحروب أثرًا من آثار العصور البربرية البائدة التي لا تناسب غير الأغبياء الذين يحشوا أذهانهم بمعلومات خاطئة، حيث يكره الحروب[1](*). لأن اندلاعها يعني أن الأبواب انفتحت لكوارث بالغة الأثر في اتجاهات متعددة، وفي شتى نواحِي الحياة، وحقًا كما توقع؛ أتت عقود طويلة من الحروب والكوارث.

وعلى المستوى السياسي ومعاصرته للعديد من الحروب، اكتشف أن أسلحة الحروب ازدادت فتكًا(**) وتدميرًا، بينما لم يتبدل البشر مثقال ذرة، لهذا يجب تجنبها نظرًا لأنها تؤدي إلى خسائر بشرية ومالية، الأمر الذي يؤدي إلى الخوف وتقلص الحريات وانكماشها[2].

---

(1) Russell, Bertrand, Autobiography, Allen and Unwin, London, 1967, p. 25.

(*) عاصر راسل حروب كثيرة منها الحرب العالمية الأولى ما بين 1914م : 1918م، والحرب العالمية الثانية ما بين 1939: 1945م، إذ تُعد هذه الأخيرة من أكثر الحروب الدموية في تاريخ البشرية، وكان من نتائجها سقوط القنبلتين الذريتين اللتين أُلقيتا على هيروشيما وناجازاكي، مما أدى إلى وقوع عدد كبير من القتلى، حيث وضعت الدول الرئيسية كافة قدراتها العسكرية والاقتصادية والصناعية والعلمية في خدمة المجهود الحربي. أما حرب فيتنام ما بين 1955م: 1975م والتي عاصرها راسل، واستمرت حتى وفاته، والتي لقى معظم ضحايا الحرب حتفهم من المدنيين، كما تسللت هذه الحرب إلى بعض الدول المجاورة وقتلت عدد كبير من الناس جراء القصف الجوي.

(**) لهذا قام راسل عام 1955م بتجميع التوقيعات من أبرز العلماء في العالم حول بيان يدعو إلى تفهم أخطار الحرب النووية، وفي عام 1958م انتخب رئيسًا لجمعية تدعو إلى نزع= =السلاح، وفي عام 1967م أدان العدوان الصهيوني على أرض فلسطين، وعلى الشعوب العربية. اعتمدنا في هذه الفقرات على المرجع الآتي: نصار عبد الله: فلسفة برتراند راسل السياسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987م، ص ص 10 – 11، 16.

(2) Russell, Bertrand, : My philosophical Development, George Allen Unwin Ltd, London, 1959, p. 36.

وبالإشارة إلى ذلك، فقد أكد على «إمكانية تجنب القتال في كلٍ من الحرب العالمية الأولى، والثانية وحرب ڤيتنام بالتفاوض، إلا أن كلٍ من هذه الحروب كانت تدفعها غرائز القسوة والحماقة والعدوانية، وهي صفات إذا تحكمت في البشر تبيح فعل أي شيء؛ كقصف النساء والأطفال بالقنابل واستخدام المواد الكيماوية السامة وإطلاق الدعاية السياسية والأكاذيب»[1].

يقول راسل: «من أسباب تعاسة الإنسان في الماضي والحاضر... الحروب والظلم، وهي نتيجة عداء الإنسان لأخيه الإنسان»[2].

وعليه؛ ناقش راسل؛ كبار رجال السياسة، وألقى محاضرات عامة في كل مكان لإنارة الوعي والرأي العام، هذا بالإضافة إلى إنشائه محكمة جرائم الحرب الدولية بهدف محاكمة أمريكا لأنشطتها ضد ڤيتنام، حيث دعا إلى نزع السلاح، وشارك في تأسيس الحملة المؤيدة لذلك، وبعث برسائل إلى كبار قادة العالم السياسي يحثها فيها على ذلك[3].

كما أنه أكّد على ضرورة سلب معظم وظائف الدولة لأنه يرى أنها شر عظيم وبهذ السلب يمكننا – من وجهة نظره – أن نتخلص من الحروب، ويتم ذلك بالاشتراكية Socialism التي هي الدواء من الداء الذي هو الملكية الخاصة التي تحميها الدولة، والسرقات التي تتألف منها الملكية والتي يقدسها التشريع وتؤيدها الحروب والأسلحة[4].

يقول راسل: «الدولة والملكية ... ضد الحياة، يولدان الحرب ... فالدولة من الداخل تحمي الأغناء من الفقراء، وتستعمل من الخارج قوتها لاستثمار الشعور الأقل تمدنًا»[5]. كما نجده في موضع آخر يقول: «أن غاية الدول الكبرى هي السيادة ولاسيما في الحروب»[6].

---

(1) Russell, Bertrand, : History of Western philosophy, New York, 1945, p. 39.

(2) برتراند راسل: الشيطان على الأرض، مصدر سابق، ص 22.

(3) عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1961م، ص ص 150 – 151.

(4) Russell, Bertrand: German Social Democracy, "six lectures", Longmans, Green AND co., London, 1896, pp. 160 – 166.

(5) برتراند راسل: أسس لإعادة البناء الاجتماعي، مصدر سابق، ص 189.

(6) المصدر السابق: ص ص 52 – 53.

إذن طالب راسل بسلب معظم وظائف الدولة، «لأنها تخالف مواقفه المعارضة للحروب ونزع السلاح النووي، والمساندة لقضايا الحرية والعدالة الاجتماعية»[1]. حيث يدافع عن الفقراء بالرغم من انتمائه للطبقة الأرستقراطية، وذلك من وجهة نظر الدراسة، لأنهم يمثلون الغالبية العظمى التي سوف تناصر أفكاره وما تحمله في طياتها –كما سوف يتضح– .

هكذا دافع راسل عن حرية[*] الفرد والمجتمع، أي حرية الفكر وإبداء الرأي، يقول في ذلك: «إن حرية الفكر والكلام هما العاملان الحاسمان في إقامة مجتمع حر يتيح للباحث أن يدع الحقيقة تقوده إلى أي اتجاه تشاءه»[2]. بمعنى أننا لا نصل إلى الحقيقة إلا بالنقاش الحر، فمن صالح الناس أن يختلفوا في الرأي، ولعل هذا الخلاف أن يشيد لنا رأيًا ناضجًا يزيد من حكمة الإنسان، وذلك لأن حرية الفكر والرأي كالسيل الدافق يطهّر العقل من أوهامه وخرافاته[3].

هكذا أفسح راسل المجال للديمقراطية وحرية الفكر والتعبير للمجتمع فيما عدا زمن الحروب، إذ لابد من قيود لهذه الحرية لصالح الأمن القومي، ولا يستطيع الإنسان أن يصل إلى الحرية والديمقراطية إلا إذا انتهت الحروب.

وفي ظل بُعد العالم عن الحروب ومقاومتها، والوصول إلى الحرية، كيف يتحقق السلام من وجهة نظره؟

---

(1) برتراند راسل: الشيطان على الأرض، مصدر سابق، ص 21.

(*) أكد راسل على أن الإنسان يعيش في عالمين مختلفين: **الأول** عالم الطبيعة وما يقابله من علوم، هذا العالم نعيش نحن فيه؛ جزء منه، أي نعيش كسائر الأشياء الخاضعة لقوانين الطبيعة، **أما الآخر** فهو عالم القيم الذي هو صنيعة الإنسان بميوله الذاتية، ومن ثم نحن ملوكًا فيه، ذوي سلطان؛ نختار ونحكم كما نشاء وبغير حساب، أي نغامر طبقًا لتقديرنا وأذواقنا، وبكامل إرادتنا نختار أفعال وغايات حتى نواجه صعوبات الحياة. اعتمدنا في هذه الفقرة على المرجع الآتي:
زكي نجيب محمود: برتراند راسل، مرجع سابق، ص ص 125 – 126.

(2) برتراند راسل: السلطة والفرد، ترجمة شاهر الحمود، دار الطليعة للنشر، بيروت، ط1، 1961م، ص 193.

(3) زكي نجيب محمود، أحمد أمين: قصة الفلسفة الحديثة، ج1، مكتبة النهضة المصرية للطبع والنشر، ط6، القاهرة، د. ت، ص 391 – 392.

2- موقف راسل من السلام:

استنادًا إلى ما سبق، وبصدد معارضة راسل للحروب لكي يصل بالبشرية إلى الحرية والديمقراطية؛ قام بأعمال عديدة من أجل السلام(*). إلا أنه يقول: «إنني يائسًا من تحقيق السلام والحرية معًا، ولاسيما بعد الحرب العالمية الأولى ... والحرب العالمية الثانية حين رأيت الضحايا الذين لقوا مصرعهم ... ليسوا من الجيوش فقط، بل من سكان العالم بأكمله»[1].

ونتيجة لذلك، أكد على «ضرورة الاختيار في الخمسين سنة القادمة بين خيارين: إما أن نسمح للجنس البشري بإبادة نفسه أو أن نتنازل عن بعض الحريات العزيزة جدًا على أنفسنا»[2].

وبالإشارة لما ذكره راسل، تكون الحرية مقيدة بشروط ألا وهي: ضرورة ضبط سلوك الإنسان منذ الصغر ضبطًا يتوسط كونه فردًا وكونه مواطنًا داخل الإنسان الواحد، هذا الأخير يجب أن ينشأ على احترام الأوضاع القائمة، لأنه إذا نشأ على الثورة ضد الأوضاع القائمة لم يكن بديهيًا مواطن صالح في رأي الدولة، هذا بالإضافة إلى ضرورة تضحية الإنسان بنفسه في سبيل الدولة إذا ما أصابها خطر، حيث أن غاية التربية هي إنتاج

(*) أعمال راسل من أجل السلام تتمثل في إنشائه للمؤسسة العالمية عام 1963م، وأطلق عليها اسمه، لتتولى الدعوى الجادة في مختلف أرجاء العالم، للعمل من أجل حياة أفضل وأكثر أمنًا لمجموعة الشعوب البشرية، ومن خلالها أعلن رأيه المضاد للحروب الاستعمارية، وانبثق عن هذه المؤسسة محكمة دولية لمحاكمة مجرمي حرب فيتنام في جنوب شرق آسيا، وعلى رأسهم ليندون جونسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك بعد اغتيال جون كيندي 1963م باعتباره المسؤول عن ارتكاب هذه الجرائم في فيتنام، أنشأت هذه المحكمة عام 1966م برئاسة الفيلسوف الفرنسي "سارتر"، وعضوية صفوة من العلماء الداعين للسلام، وأدانت المحكمة الولايات المتحدة الأمريكية لجرائمها في فيتنام واستخدامها للقنابل المحرمة دوليًا، إذ انتهكت بهذا اتفاقية جنيف وميثاق الأمم المتحدة. اعتمدت في هذه الفقرة على المراجع الآتية:
- برتراند راسل: الشيطان على الأرض، ص 21.
- وكذلك نصار عبد الله: فلسفة برتراند راسل السياسية، ص ص 10 – 11.

(1) برتراند راسل: الحرية والتنظيم، ترجمة عبد الكريم أحمد، مكتبة الأنجلو المصرية للطبع والنشر، القاهرة، 1960م، ص 15.

(2) برتراند راسل: العلم وأثره في المجتمع، مصدر سابق، ص 110. وكذلك:
Russell, Bertrand, : The future of science, op. cit., p. 44.

المواطن الصالح الذي يوافق على النظم القائمة، فالحكومات تُخرِّج رجال تؤيد الأنظمة القائمة [1].

وجدير بالذكر أنه جعل تنشئة الطفل ليصبح فردًا ومواطنًا في آن واحد؛ هي مسئولية المدرس بما يحقق الاتزان بين الفرد والمواطن في نفس التلميذ[2]. وهو بهذا من وجهة نظر الدراسة قد تجاهل دور الأبوين والأسرة في التنشئة.

يقول: «إن استبدال الدولة بالأب سيكون مكسبًا للحضارة إذا كانت الدولة دولية international super state، لكن طالما كانت الدولة وطنية وعسكرية military and national state فإنها تمثِّل زيادة في خطر الحرب على الحضارة[3].

وترى الدراسة أنه يوجد تناقض في أقوال راسل، فحينما أكد أن الحرب دمار للبشرية (وهذه حقيقة) أفاد بالابتعاد عن الحروب، لكن بحديثه عن السلام؛ أفاد للوصول إلى (الحرية المشروطة) يكون بالتنازل عن الحريات العزيزة علينا، أو أن يبيد الجنس البشري نفسه بنفسه، وهذه ازدواجية واضحة، فكلتا الخيارين سواء كان الحرب أم السلم الذي يدعو إليه يساهم في إبادة الجنس البشري، هذا بالإضافة إلى حديثه عن (الحرية المشروطة) تخرج من كونها حرية، لأن الحرية التي دعا إليها من قبل لابد وأن تكون غير مقيدة، وإلا انتفى معناها، إذ لابد وأن يتساوى فيها الجميع من ناحية الحقوق والواجبات، فمعيار اختيار الساسة من قِبل أفراد المجتمع يكون مبني على المساواة في الحقوق والواجبات لا بتقييد الساسة لحريات منتخبيهم رغمًا عنهم، بدعوة أن يقوم الجنس البشري بإفناء نفسه بنفسه، حيث يقوم هؤلاء الساسة بإبادة منتخبيهم للوصول إلى أهدافهم أو مصالحهم أو مصالح جهات تحركهم.

هذا إن دل على شيء؛ إنما يدل على أن أولى الأمر في المجتمع – من وجهة نظر راسل– هم ساسة المستقبل، إذ «يقيموا بناء سلطانهم على نتاج العلوم في تشكيل الناس، معتمدين في ذلك على التربية، هذا بالإضافة إلى اعتمادهم على أسلوب الدعاية

---

(1) زكي نجيب محمود: برتراند راسل، مرجع سابق، ص ص 9 – 10.
(2) المرجع السابق، ص ص 117 – 118.
(3) Russell, Bertrand,: Marriage and Moral, op. cit., p. 219.

ووسائل النشر من صحافة وسينما وراديو، هذه الوسائل تكون في أيدي الساسة، وتمكّنهم من التحكم في استجابات الناس للمؤثرات المختلفة، بحيث ينصب الأفراد جميعًا في قالب واحد، ليُخرجوا نمطًا واحدًا، فيوجهوا شعوبهم توجيهًا مدبرًا محكمًا»[1].

معنى هذا أن يكون الشعوب مسلوبي الرأي والتفكير في جميع نواحي الحياة، ويكونوا كقطع الشطرنج التي من الممكن أن يتحكم فيها الساسة، مما يوضح تمييز راسل للساسة عن بقية أفراد المجتمع، وهذا ما يناقض الحريات والمساواة بين الجميع.

ويستطرد راسل قائلاً: «وهذا هو الاستقرار الاجتماعي عند الساسة، أما الناس فسوف تستمد سعادتهم ورضاهم من ضروب اللهو، ومن إباحة الغريزة الجنسية»[2].

بناء على ما سبق، تظهر ازدواجية راسل في أوجها في واقعه السياسي، حيث يحكم بمعايير مزدوجة، إذ يندد بشدة حول المشكلة، بينما يغض البصر عن الدور الأكبر والغاية الأساسية التي يهدف إليها، فما هي هذه الغاية التي يهدف إليها؟

3- الحكومة العالمية، والازدواجية السياسية:

Totalitarianism government and political ambivalence

حيث أن الثابت معارضة راسل للحروب، لأنها تؤدي إلى الدمار وتقلص الحريات، فقد أكد أن التخلص من الحروب يكون بسلب معظم وظائف الدولة، مما يعني قبوله بالاشتراكية(*)، ومن زاوية أخرى نجده يهاجم الاشتراكية المركزية(**)، وقد ظهر هذا في

---

(1) زكي نجيب محمود: برتراند راسل، ص 128.

(2) زكي نجيب محمود: برتراند راسل، ص 128.

(*) الاشتراكية تهدف إلى الدفاع عن نظام اقتصادي يمتاز بالملكية الجماعية لوسائل الإنتاج، وتعود هذه الملكية لأي شخص ما أو مجموعة كالملكية العامة المباشرة أو الملكية المشاعة أو الملكية التعاونية، حيث تدافع الاشتراكية عن الحكومة الديمقراطية على أساس مساواة المجتمع في الحقوق.

اشتراكية /ar.wikipedia.org/wiki

(**) الاشتراكية المركزية تهدف إلى ضرورة التخطيط المركزي الذي يهدف إلى تحقيق التنمية الاقتصادية، وهو من أهدافه تطور البرامج الصناعية كأساس لتطوير القطاع الاشتراكي الذي يشكّل الأساس لتحقيق التنمية الشاملة لكل الأفراد.

عدائيه للقومية(***)، إذ لا ينضم القوميون إلى منظمات عالمية، ولا يتعاونون مع أي دولة غير دولتهم، لهذا فهم أعداء لـ راسل.

هذا ما جعله يؤكد على أن القومية تهدد بالقضاء على كل من أوروبا، بالإضافة إلى الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية، حيث تكون أخطر بكثير فيهما لما تمتلكهما هاتين الدولتين من أسلحة دمار شامل، لهذا رأى أن العلاج الوحيد للحد من القومية هو الحكومة العالية التي تحقق المثالية[1]. من وجهة نظره.

وفي هذا الإطار نجده يؤكد بأن «الوسيلة الوحيدة لإنهاء الحروب إلى الأبد في إنشاء فيدرالية عالمية، لكن طالما توجد دول متعددة، ولكل منها جيشها الخاص، فليس من ضمانة ضد الحرب، يجب ألا يبقى في العالم إلا جيش بري واحد وبحرية واحدة... وهذا يعني أنه إذا اعتبرنا أن المهام العسكرية من اختصاص الدولة، فلن يكون هناك إلا دولة واحدة يشمل حكمها العالم كله»[2]. وهي تنشأ بتكتل قوة واحدة أو مجموعة من القوى تتمكن من السيطرة على العالم في نهاية الأمر بحكم الواقع.

وثمة نقد يمكن أن يوجه إلى راسل، وهو أنه على الرغم من أن الاشتراكية المركزية – التي رفضها راسل– تحقق نفس أهداف الاشتراكية التي قَبِلها مسبقًا، بل وتتفوق عليها في نفس الأهداف والنتائج، إلا أن رفضه لها، والذي يظهر في عدائه للقومية التي لا تنضم إلى منظمات عالمية، ولا تتعاون مع أي دولة أخرى، مما يفسد مخطط السيطرة على هذه الاشتراكية المركزية، ويصعِّب مهمة تكوين الحكومة العالمية التي ينادي بها.

هذا فضلاً عن ثمة نقد آخر يمكن أن يوجه إلى أقواله، فبإستغنائه عن الاشتراكية المركزية والقومية، وبادعائه يجب أن تكون بعيدة عمن يمتلكون الأسلحة النووية، فهو يدفعنا بلا اختيار للتوجه نحو الحكومة العالمية التي سوف تكون بيد ائتلاف من الأقوى، وطبيعيًا أنها لن تكون بيد الدول النامية (حتى لو أقامت فيما بينها تحالف)، مما يجعل السيطرة بيد

(***) القومية هو ارتباط الناس بأرضهم وولائهم وانتمائهم إليها، وإلى عادات آبائهم وأجدادهم، وتقديم مصلحة الوطن على المصلحة الشخصية، ويعود هذا الاعتقاد إلى بعض الجذور العرقية لديهم. Mawdoo3.com/ما هي القومية

(1) Russell, Bertrand,: German Social Democracy, op. cit., pp. 160 – 166.

(2) برتراند راسل: أسس لإعادة البناء الاجتماعي، مصدر سابق، ص 84.

الدول صاحبة التقدم التكنولوجي، وتمكنها من السيطرة على الدول النامية وسلب ثرواتها وخيراتها.

وعلى هذا الأساس نجده يقول: «من المتوقع أن يعطي العلم... الحكومات إمكانيات أكبر بكثير للتحكم في عقليات الأفراد مما هو عليه الآن ... ووسائل حقن الدماغ بالمعلومات والوصايا والأوامر ستجتمع فيما بينها لتعطى للطفل مبكرًا»[1].

هذا بالإضافة إلى تأكيده بأن السيطرة على العالم سيكون «بالخضوع التدريجي للسيطرة على جميع الدول ... وهذا يستغرق مائة عام، وهنا تتألف الحكومة الموحدة، والتي تبدأ بعملية التطور نحو الشكل الديمقراطي من الحكومة العالمية، والتي تبدأ باكتساب درجة من الاحترام تمكّنها من إرساء سلطتها على القانون بدلاً من القوة»[2].

ومن الضروري أن نذكر ما أكده في ثلاثينات القرن الماضي بأن «الحكومة العالمية لا يمكن إدامتها بالولاء العفوي الذي ينحصر تأثيره في بعث روح التماسك في حالة الحرب، وستكون الطريقة الوحيدة لإدامة هذه الحكومة هي القوة»[3].

هذا بالإضافة إلى تأكيده بأنه «إذا قرر الجنس البشري ... أن يعيش، عليه القيام بتغييرات في طرق تفكيره وشعوره وسلوكه ... علينا الخضوع للقانون حتى عندما يكون مفروضًا علينا من قِبل أجانب نكرههم ونحتقرهم، ومن الذين نعتبرهم متعامين عن كل اعتبارات الحق»[4].

وثمة نقد يوجه إلى راسل، ألا وهو؛ أين الحرية ولاسيما حرية الفكر وإبداء الرأي؟

أليس حقًا بأن راسل كان هدفه هو مصلحة هؤلاء الأجانب دون مصلحة بقية شعوب العالم، وهذا ما لا يدع مجالاً للشك يوضِّح ازدواجيته في سلوكه ومواقفه السياسية وضوحًا جليًا.

---

(1) برتراند راسل: أثر العلم في المجتمع، ص ص 78 – 79.
(2) برتراند راسل: أسس لإعادة البناء الاجتماعي، ص ص 68 – 69.
)3(Russell, Bertrand,: Marriage and Morals, op. cit., p. 219.
(4) برتراند راسل: أثر العلم في المجتمع، ص ص 110 – 111.

وجدير بالذكر في هذا المقام بأن نوضح أن راسل قد حصل على وسام الاستحقاق البريطاني وجائزة نوبل عام 1950م[1]. هذا بالإضافة إلى أنه كوفيء ومن قِبل إدارة البحث الإعلامي "IRD" التي كان يسعده أن يتلقى منها هدايا من وقت لآخر، حيث كانوا يلقبونه بأنه " **صقر**" في ذلك الوقت[2].

كما كان رئيسًا شرفيًا لمنظمة الحرية الثقافية التابعة والممولة سرًا من المخبرات المركزية الأمريكية، حيث كان اسمه يضيف حينذاك بريقًا، إذ كان معاديًا عنيفًا للشيوعية وأصر على أن القوة العسكرية وإعادة التسليح، لابد من أن تكون لهما الأولوية على أي شيء آخر بالنسبة لنا، وفي هذا الوقت التي كانت المخابرات المركزية CIA تقوم بتدعيم السياسة الأمريكية المضادة للشيوعية[3].

فقد روع راسل المعجبين به بحديث عام 1948م في القاعة الرئيسية المدمرة في مدرسة وستمنستر عندما اقترح تهديد ستالين[*] بالقنبلة الذرية، وفي منتصف الخمسينات كان يدعو إلى نزع السلاح النووي، هذا ما جعل أعضاء المنظمة الذي كان رئيسًا شرفيًا لها يصفوه بأن **سياسته تتغير مع الرياح**[4].

النتائــج:

- هكذا اتضح مما سبق أن راسل فيلسوف مؤثرًا فى عصره وما بعد عصره، وإذ أردنا النظر إلى إيجابياته فنجدها في تأثيره الكبير على العامة والخاصة، حيث أوضح أهدافًا

(1) سوندرز ف. س: الحرب الباردة الثقافية "من الذي دفع للزمار"، ترجمة طلعت الشايب، المخابرات المركزية الأمريكية وعالم الفنون والآداب، المركز القومي للترجمة، ط4، القاهرة، 2009م، ص 118.
(2) المرجع السابق، ص 118.
(3) المرجع السابق، ص 118، 62.
(*) ستالين هو القائد الثاني للاتحاد السوفيتي بعد الثورة البلشفية عام 1917م.
(4) المرجع السابق، ص ص 118 – 119.

نبيلة يجب تحقيقها للبشرية ألا وهي: الصحة والأمان الاقتصادي والعمل الذي يرضى هواية الإنسان ويتفق مع ميوله، وأخيرًا اتساع نطاق الأمور التي يهتم بها الفرد.

- هذا بالإضافة إلى آراءه عن الزواج والاستقرار الأسري –كما أوضحت الدراسة– وعلى تأثيره على المجتمعات بضرورة وجود الدين لكل إنسان حتى يسير على الطريق السوي، وذلك لأن الدين يعمل على تنمية الحياة. فضلاً عن توضيحه لإيجابيات العلم، وضرورة وجود الأخلاق لكي نتصدى للآثار السلبية للعلم حتى نقلل من أخطارها.
- ولا يفوتنا أن نذكر مناداته إلى وقف الحروب ونشر السلام في العالم بأسره. هذا كله جعل العامة يصفونه على أنه "ضمير الإنسانية"، وبالنسبة للخاصة من الناس أفادوا أنه "صقرُ".
- وعلى الجانب الآخر، نجد أن كل ما اتسم به من صفات إيجابية ما كانت إلا ليبث أفكاره الحقيقية الباطنة، كما يُدس السُم في العسل؛ محاولة منه لإقناعة العامة بأهداف الخاصة للوصول إلى غاياتهم وأهدافهم، وهذا نتاج فكره الازدواجي الذي اعتاد عليه منذ الصغر.
- فقد كانت الظروف القاسية التي عاشها راسل وهو مازال طفلاً لها أثرًا سلبيًا على نفسه، ومن ثم كان يتناقض مع ذاته في أقواله، وهذه هي الازدواجية الشخصية، والتي امتدت معه حتى صار شابًا، حيث تناقضت أقواله ومؤلفاته مع أفعاله وأهوائه، هذا ما أثبتته الدراسة.
- كما اتضحت ازدواجيته بصدد فكره الديني، فنجده تارة ما بين الرفض والقبول للعقائد الدينية ووجود الله، وذلك عندما يتحدث مع العامة من الناس، وتارة أخرى يصف نفسه لاأدريًا حيث يتحدث مع رجال الدين، حيث كان مناقضًا لذاته في كثير من أقواله.
- ومن خلال حديثه عن ازدواجية آثار نتائج العلم أبرز من خلالها الآثار السلبية –والتي تحقق جزء كبير منها حتى الآن– بترهيبنا من هذه الآثار والتي من الواضح أنه كان مطلع عليها مسبقًا، محاولة منه للتضييق على العالم بترغيبنا نحو الحكومة العالمية هذا الترهيب والترغيب ما هو إلا أحد أشكال الازدواجية الفكرية.

- أما في المجال السياسي، فقد اتضحت ازدواجيته في سلوكه الذي اتبعه بتستره على الهدف الأساسي الذي يهدف إليه ألا وهو الحكومة العالمية الموحدة، والتي يعطيها العلم؛ إمكانيات لكي تتحكم في عقول الأفراد، وتوجههم إلى الأفكار التي ترغب فيها، حتى تسيطر عليهم وعلى دولهم وشعوبهم.

من أجل هذا نجد أن راسل قام بإيجاد تبريرات يوهم بها الناس، فنجده يدافع عن الحرية في مواقفه تجاه الحروب ومعارضته لها، إذ يُظهر ناموس الخطر حول الطرف المتعرض للظلم من استخدام الأسلحة النووية وخطورتها عليه، وبما تترك من آثار سلبية على الإنسانية، وذلك لكي يصل بالإنسانية إلى السلام؛ الذي أكد أنه لن يتحقق إلا بالتنازل عن الحريات العزيزة جدًا علينا، حتى يضيِّق الخناق للوصول إلى هذه الحكومة السابق ذكرها، والتي أكد على أن إدامتها لابد وأن تكون بالقوة، وتأكيده على ضرورة تغيير طرق تفكير وشعور وسلوك الناس، وذلك بخضوعهم للقانون حتى إذا كان هذا القانون مفروضًا علينا من أجانب نكرههم، ونعتبرهم متعامين عن كل اعتبارات الحق، وهذا قوله ذاته الذي نجد فيه الازدواجية في أوجها، حيث ربط معيشة العالم بأسره بالخضوع لقوانين مفروضة عليه وغير مقتنعًا بها، فأين حرية الفكر وإبداء الرأي –الذي نادى بها من قبل– في ظل هذا الكبت والإجبار؟

هكذا مَارسَ راسل الازدواجية بصدد قضايا عصره بطريقة احترافية، حيث كان احترافيًا في تبني الرأي والرأي الذي يناقضه، مما جعله مُستغلاً من جهات وهيئات سياسية تابعة ومملوكة بالكامل للمخابرات المركزية الأمريكية، فهو عضو غير ظاهر في هذه المخابرات، إذ كان يحقق أهدافهم؛ لما له من براعة في ممارسته للازدواجية مع تأثيره الإيجابي على المجتمعات.

واستخلاصًا لما سبق يتضح أن راسل لم يكن سوى ترس في ماكينة، ويؤكد ذلك قوله المشهور: «قد تقضي عمرك وأنت تعتقد بأنك تدافع عن أفكارك ثم تكتشف أنك في الحقيقة تدافع عن أفكارهم التي زرعوها في عقلك».

هذا يقودنا إلى الإجابة على التساؤل الرئيسي لهذه الدراسة، بأن أفكار راسل ومواقفه وسلوكه لم تصل إلى الأهداف التي نادى بها للإنسانية –والتي ذكرتها سابقًا– بل اتخذت أفكاره ومواقفه وسلوكه اتجاه مغاير لما نادى به من أهداف للإنسانية.

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن ننبه مجتمعاتنا لآثار هذه الازدواجية حتى لا تقع فريسة لها، بأن تكون أكثر تماسكًا ووعيًا فيما له مصلحة ونفع للمجتمع، وبمعرفة أخطارها لابد من مقاومتها بإبراز وتعريض الحدث، وتفسير الأحداث تفسيرًا منطقيًا وواعيًا يتناسب مع واقعنا، ولا ينجرف نحو الترهيب والترغيب للدعايات والادعاءات الغربية لتطبيقها عن ظهر قلب.

أولاً- المصادر العربية والمراجع العربية:

1- المصادر العربية:

1- برتراند راسل: الحرية والتنظيم، ترجمة عبد الكريم أحمد، مكتبة الأنجلو المصرية للطبع والنشر، القاهرة، 1960م.

2- برتراند راسل: السلطة والفرد، ترجمة شاهر الحمود، دار الطليعة للنشر، بيروت، ط1، 1961م.

3- برتراند راسل: الشيطان على الأرض، إعداد وتقديم: حنا تادرس، مكتبة السائح، طرابلس – لبنان، ط1، 2017م.

4- برتراند راسل: العلم وأثره في المجتمع، ترجمة صباح صديق الدملوجي، المنظمة العربية للترجمة والنشر، ط1، بيروت، 2008م.

5- برتراند راسل: المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، ترجمة عبد الكريم أحمد، مكتبة الأنجلو المصرية للطبع والنشر، القاهرة، د. ت.

6- برتراند راسل: أسس لإعادة البناء الاجتماعي، ترجمة د. إبراهيم يوسف النجار، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1987م.

7- برتراند راسل: انتصار السعادة، ترجمة محمد قدري عمارة، المركز القومي للترجمة، ط2، القاهرة، 2009م.

8- برتراند راسل: حكمة الغرب "الفلسفة الحديثة والمعاصرة"، ترجمة فؤاد زكريا، ج2، سلسلة عالم المعرفة، عدد 72، القاهرة، 1978م.

9- برتراند راسل: سيرتي الذاتية من 1872م : 1914م، ترجمة فايز إسكندر وآخرون، دار المعارف للنشر، مصر، القاهرة، 1970م.

10- برتراند راسل: عبادة الإنسان الحر، ترجمة محمد قدري عمارة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2005م.

11- برتراند راسل: لماذا لست مسيحيًا، ترجمة عبد الكريم ناصيف، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق – بيروت، ط1، 2015م.

2- المراجع العربية والمترجمة:

1- آلان وود: برتراند راسل "سيرة حياته"، ترجمة د/ رمسيس عوض، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998م.
2- زكي نجيب محمود، أحمد أمين: قصة الفلسفة الحديثة، مكتبة النهضة المصرية للطبع والنشر، ط6، القاهرة، د. ت.
3- زكي نجيب محمود: برتراند راسل، دار المعرفة بمصر، ط2، القاهرة، د. ت.
4- سوندرز ف. س: الحرب الباردة الثقافية "من الذي دفع للزمار"، ترجمة طلعت الشايب، المخابرات المركزية الأمريكية وعالم الفنون والآداب، المركز القومي للترجمة، ط4، القاهرة، 2009م.
5- كوليتر چيمس: الله في الفلسفة الحديثة، ترجمة فؤاد كامل، مكتبة غريب، القاهرة، 1973م،.
6- نصار عبد الله: فلسفة برتراند راسل السياسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987م.

3- الموسوعات والدوريات العربية:

- **الموسوعات العربية:**
- عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1961م.
- **الدوريات العربية:**
- بوشنسكي إ. م: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة د. عزت قرني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، 165، الكويت، 1992م.
- زكي نجيب محمود: من برتي إلى برتراند راسل، سلسلة الفكر المعاصر، عدد 34، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1967م.

ثانيًا- المصادر الأجنبية والموسوعات الأجنبية:

1- المصادر الأجنبية:

1- Russell, B.: Autobiography, Allen and Unwin, London, 1967.
2- Russell, B.: German Social Democracy, "six lectures", Longmans, Green AND co., London, 1996.
3- Russell, B.: History of Western philosophy, New York, 1945.
4- Russell, B.: Logic and Knowledge Essay 1901 – 1950, George Allen and Unwin, London, 1950.
5- Russell, B.,: Marriage and Morals, Live right publishing corporation, New York, 1929.
6- Russell, B.: My philosophical Development, George Allen Unwin Ltd, London, 1959.
7- Russell, B.,: The future of science, Dution, EP., & Company, Seventh printing, U.S.A., 1925.

2- الموسوعات الأجنبية:

- Urmson, J. O., "Russell", in The concise Encyclopedia of western philosophy and philosophers, Routledge, London and New York, 1989.

- مراجع عبر الموقع الإلكتروني:

1- Plato.stanford.edu/entries/russell
2- https://ar.wikipedia.org/wiki/بيير جانيت
3- https://www.azzaman.com/تناقضات الشخصية الازدواجية بين علمى النفس والاجتماع
مقالات سلاهب طالب الغرابي
4- Wikipedia.org/wiki/اشتراكية
5- Mawdoo3.com/ للكاتبة هبة زايد – ما هي القومية